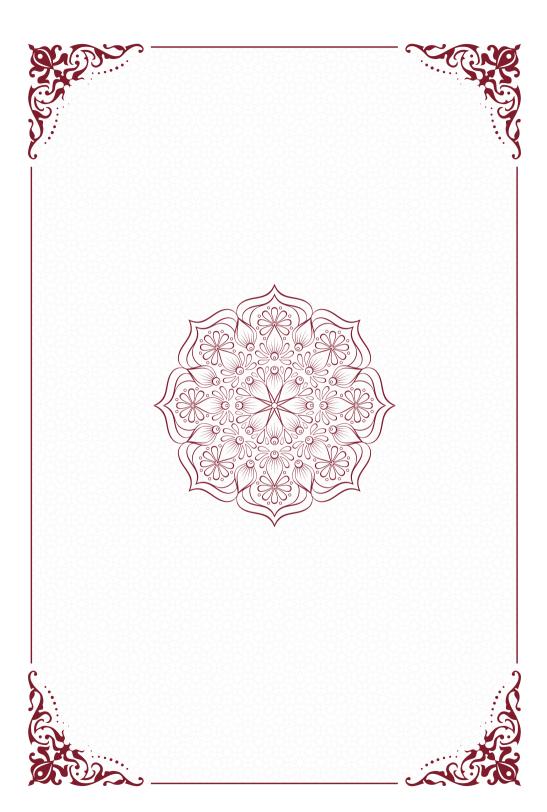


التعليق على كتاب

حلية طالب العلم

للشيخ:

د. أحمد بن <mark>حمد الونيس</mark>



التعليق على حلية طالب العلم برنامج دليل

المجلس الثالث ٢/ ٦/ ٤٤٦ هـ(١)

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وللمستمعين.

يقول المؤلف رَحْمَهُ ٱللَّهُ:

(التلقي عن المبتدع.

احذر أبا الجهل المبتدع الذي مسّه زيغ العقيدة وغَشيته سحب الخرافة، يحكّم الهوى ويسميه العقل ويعدل عن النص، وهل العقل إلا في النَص؟

ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح، ويُقال لهم أيضا: أهل الشبهات وأهل الأهواء.

ولِذا كان ابن المبارك رَحِمَهُ ألله يسمّي المبتدعة: الأصاغر.

وقال الذهبي رَحْمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والحديث وهاتِ العقل فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن

⁽١) هذه التعليقات تفريغ صوتي وليست تأليفا، وتم إخراجها بهذه الصورة للتيسير على طلاب برنامج دليل، والله الموفق.

العقل وهاتِ الذوق والوجد فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه وابرُك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه.

وقال أيضا رَحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى وقرأت بخط الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه اي ابن أبي عصرون - مع أخي أبي عُمر، وانقطعنا، وسمعت أخي يقول: ثم دخلت عليه بعد فقال: لمَ انقطعتم عني؟ قلت إن الناس يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري، هذا معنى الحكاية.

وعن مالك رَحْمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة:

- -سفيه يعلن السفّه وإن كان أروى الناس.
 - وصاحب بدعة يدعو إلى هواه.
- ومن يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث.
 - -وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدّث به).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد، كنا قد وقفنا على كلام الشيخ رَحْمَهُ الله فيما يتعلق بالأخذ عن المبتدع، فحذّ رالشيخ رَحْمَهُ الله من أن تطلب العلم على معلم مبتدع، وذلك أن الطالب يتأثر بشيخه فربما أثّر عليه هذا المبتدع فصار مُعتقِدًا لما يعتقد، ولهذا حذّ رالسلف من الأخذ عن أهل البدع، وإذا قرأت في كتب التراجم تجد بعض أهل العلم ممن نشأ على السنة ثم لما أخذ عن أهل البدعة تأثّر بهم وأصبح على اعتقادهم، وقد ذكرت في أكثر من موضع مثالاً على هذا وهو محمد بن على المتوفّي سنة ١٢٩٥ هـ وهو من علماء الحنابلة المتأخرين، أخذ العلم في أول أمره على الشيخ عبد الله أبابطين العالم السلفي المعروف، من علماء الدعوة النجدية، أخذ عنه لما كان الشيخ عبد الله رَحْمَهُ الله قاضيًا في من علماء الدعوة النجدية، أخذ عنه لما كان الشيخ عبد الله وقصياً

عنيزة ، فأخذ عنه ابن حميد ودرس عليه الفقه، وكان على اعتقاد السلف، ثم رحل في طلب العلم، وأخذ عن أحمد زيني دحلان، وهو من علماء مكة، المعروف بعدائه للدعوة السلفية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحمَهُ الله، فتأثّر ابن حميد بشيخه ومن أخذ عنه من أهل البدع، فانعكس هذا على مؤلّفه الذي هو (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) هذا الكتاب ألفه محمد بن حميد ذيلاً على ذيل ابن رجب لطبقات الحنابلة.

الحنابلة -رحمهم الله - عندهم كتب في الطبقات، منها كتاب ابن أبي يَعلى المعروف بطبقات الحنابلة، ثم جاء بعده ابن رجب فألف الذّيل على طبقات الحنابلة، ثم جاء بعده أللّهُ في القرن الثامن، ثم جاء ابن حميد هذا فوضع ذيلا وترجم للحنابلة إلى زمانه.

وابن حميد كما تقدم توفي سنة ١٢٩٥هـ، إذا تأمّلت في هذه الحقبة الزمنية من ابن رجب إلى ١٢٩٥هـ ونظرت في علماء الحنابلة: أليس منهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة النجدية كالشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيرهم؟ ومع ذلك لم يُترجم لواحد منهم أبداً، وذلك لما في نفسه على هذه الدعوة السلفية، هذا من أين أتى؟ من الأخذ عن أهل البدع، فتأثر بهم وأصبح على طريقتهم، لم يُترجم إلا لعالم واحد من أئمة الدعوة، وهو شيخه الشيخ عبد الله أبابطين رَحْمَهُ ٱللّهُ تَعَالَى

ولكنه أعرض عن الترجمة لبقية أئمة الدعوة مع أنهم حنابلة، وكان ينبغي بمقتضى التأليف والأمانة العلمية أن تذكرهم وحين أبدِ ما عندك عليهم إن كنت تجد عليهم شيئا، لكنه أعرض عن الترجمة لهم وكأنهم ليسوا علماء في هذه الحقبة الزمنية.

المقصود هذا مثال، وإلا فهناك عدة أمثلة.

فانتبه يا طالب العلم، لا تأخذ عن مبتدع، لا أشعري ولا معتزلي، واليوم الآن ظهرت عندنا جماعات معاصرة مخالفة للسنة فنقول أيضا: لا تأخذ عن إخواني ولا تأخذ عن تكفيري، انتبه لأن البدع في كل عصر يكون لها لون ويكون لها أتباع، فأنت تنتبه لهذا، لا تأخذ إلا عن أهل السنة الذين عُرِفوا بتعظيم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

الطالب:

(فيا أيها الطالب إذا كنت في السعة والاختيار فلا تأخذ عن مبتدع رافضي أو خارجي أو مرجئ أو قدري أو قبوري، وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال، صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقف و الأثر: إلا بهجر المبتدعة وبدَعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة ومنابذة المبتدعة والابتعاد عنهم كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص وواقعات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس مقيدة فيها، فقد كان السلف -رحمهم الله تعالى - يحتسبون الاستخفاف بهم وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم ومشاورتهم ومؤاكلتهم، فلا تتوارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحْمَهُ أَللّهُ تَعَالَىٰ انصرافه عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم ويَنهى عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة والشُّبَه خَطَّافة).

الصلاة خلف المبتدع فيها تفصيل، يذكره الفقهاء في كتاب الصلاة..

إن كانت بدعته تخرجه من الإسلام كبدعة الرافضة مثلاً فلا تصح الصلاة خلفه بالاتفاق؛ لأن الصلاة خلف الكافر لا تصح.

وإن كانت بدعته لا تخرجه من الإسلام فإنه لا يُجعل إماماً راتباً، ولكن هل تصح الصلاة خلفه أو لا تصح؟ محل خلاف بين الفقهاء، والأقرب أنها تصح ما دامت بدعته لا تخرجه من الإسلام، فالصلاة صحيحة، ولكن لا يجوز أن يُجعل إماما راتبا وأن يُقدَّم ليكون هو الذي يصلى بالناس.

الطالب:

(وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة لمبتدع عند الاضطرار؛ لأنه باغ، لقول الله تعالى ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِ﴾ [البقرة: ١٧٣] الآية، فهو باغ ببدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رَحِمَهُ أللَّهُ تَعَالَى مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: أظنك صاحب بدعة، وأمر به فأُخرج).

قصة الإمام مالك رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مشهورة مع مَن سأله فقال: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ السَّوَى ﴾ [طه: ٥] كيف استوى ؟

فأطرق الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ حتى علاه الرَّحَضاء - يعني العرق - من شدة هذا السؤال، ثم رفع رأسه فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا مبتدعا، ثم أمر به فأخرج من المسجد.

الطالب:

(وأخبار السلف مُتكاثرة في النفرة من المبتدعة وهَجرهم، حذرا من شرهم وتحجيما لانتشار بدعهم، وكسرا لنفوسهم لتضعف عن نشر البدع.

وإن في معاشرة المبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي، والعامي مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالبًا، ونرى في كتب المصطلح وآداب الطلب وأحكام الجرح والتعديل الأخبار في هذا.

فيا أيها الطالب كن سلفيا على الجادة، واحذر المبتدعة يفتنونك، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سُبلا يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول، وهو عسل مقلوب، وهُطول الدمعة وحسن البزّة والإغراء بالخيالات والإدهاش بالكرامات ولحس الأيدي وتقبيل الأكتاف، وما وراء ذلك إلا وهم البدعة ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك ويعتملك في شِراكه، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة فالعَق العسل ولا تسل، وفقك الله لرشدك لتنهل من ميراث النبوة صافية، وإلا فليبك على الدين من كان باكيا).

يقول رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى: كن سلفيا على الجادة، على جادة السلف الصالح، حريصا على اتباع ما كانوا عليه، معتنيا بالآثار، لا تأخذ إلا عن أهل السنة.

وفي مقدمة صحيح مسلم يقول الإمام محمد بن سيرين رَحْمَهُ أَللَّهُ تَعَالَى: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

ومن أخبار علماء السلف في ذلك قول الإمام محمد بن إسحاق بن منده رحمه ألله أنكار الله الشرق والغرب مرتين، ولم أسمع من المبتدعين حديثًا(١).

⁽١) ينظر: المدخل لابن بدران ص٩٩٥.

وهنا الشيخ رَحْمَدُ اللهُ قال في تحذيره من أهل البدع: يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول، وهو عسل المقلوب

ماذا يريد؟ لو قلبت كلمة عسل ماذا تصير؟ لسعُّ.

يعني كأنهم عقارب يلسعون ويؤذون من يجالسهم.

يقول: وهُطول الدمعة، هذا قد يحصل من بعض المبتدعة، تجدعليه خشوعا وإذا وعظ الناس بكى، فينخدع به عامة الناس وبعض صغار طلبة العلم، ويرون أنه من أهل الخشية لله عز وجل.

وقد جاء كلام للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إن الشيطان ليلقي على المبتدع الخشوع ليصطاد به.

فلا تغتر بشخص يبكي في وعظه أو درسه إذا كان ليس على طريق أهل السنة والجماعة.

أيضًا ذكر الشيخ رَحِمَهُ أَللَّهُ تَعَالَى حُسن البزّة والإغراء بالخيالات والإدهاش بالكرامات إلى آخر ما ذكره.

أضيف أيضًا أن بعض الناس اليوم صار إذا احتاج إلى مسألة دخل على هذه الوسائل الحديثة ويسمع فتوى فلان أو كلام فلان أو محاضرة فلان وقد يندهش بقوة حُجته، يندهش بقوة حُجته، فيغتر به، ويتبعه فيما يقول.

وقوة الحافظة والبلاغة والفصاحة وقوة الحجة لا تكفي ليكون صاحبها متبعا، بل لا بدأن تعرف اعتقاده وأن تعرف ديانته، وقد مر معنا أنه لا يأخذ إلا من معلم متقن وأمين أيضا على العلم؛ لأن العلم أمانة، إذا كان الإنسان ما يُحسن العلم كعامة الناس أو صغار طلبة العلم ربما يُصدق كل شيء يقوله هذا الشيخ.

فينبغي التنبه لهذا، إذن لا تغتر بمثل هذه الأمور التي يغتر بها كثير من الناس حتى تعلم حال الرجل من حيث الاعتقاد ومن حيث الديانة.

الطالب:

(وما ذكرتُ لك هو في حال السّعة والاختيار، أما إن كنت في الدراسة النظامية لا خيار لك: فاحذر منه مع الاستعادة من شره، ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره وتتقي شره وتكشف سترَه).

قد يُبتلى الإنسان بمعلم مبتدع في دراسة نظامية، والدراسة النظامية ليس لك فيها خيار أن تنتقى الأساتذة.

أنتم بحمد الله في بلاد السنة، الأصل أن لا يدرسك إلا من هو على السنة، لكن قد يبتلى الإنسان في بعض البلاد بمن يدرسه على غير السنة، هو محتاج إلى أن يدرس هذه الدراسة النظامية، فماذا يصنع؟ يقول الشيخ: حينئذ يكون متحرزاً متنبها متيقظاً من هذا المعلم المبتدع، ربما يدس عليه شيئا من بدعته.

حتى في غير العلوم الشرعية، وهي العلوم المساعدة كعلم اللغة العربية، فلو تأملت بعض شروح ألفية ابن مالك تجد فيها ما يُخالف عقيدة السلف الصالح، يذكرون بعض الآيات ويُؤوِّلون الصفات فهذا ما ينتبه له الطالب.

إذن الشيخ يقول: إذا ابتُليت بدراسة نظامية والمعلم ليس لك خيار فيه وتعلم أنه على بدعة فكُن حينئذ حذراً، إن استطعت أن تبلغ المسؤول بحيث يزيل هذا المعلم المبتدع ويضع بدله سنيا وإلا فلا أقل من أن يكون الإنسان حذراً من هؤلاء.

الطالب:

(ومن النُّـتَف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدَّث عن مُرجئ فقيل له: لماذا تحدث عن مرجئ؟ فقال: أبيعكم اللحم بالعظام.

فالمقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حدّت بلا غرَر ولا جهالة إذ بينا فقال: وكان مرجئا.

وما صدرته لك هنا هو من قواعد معتقدك عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في عقيدة السلف لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، قال رَحْمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يصحبونهم ولا يصحبونهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع الأباطيل التي إذا مرت بالآذان وقرَّت في القلوب ضرَّت، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّت، وفيها أنزل الله عَنَّهَ عَلْ قوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي عَايَتِنَا فَأَعْرِضَ عَنْهُمُ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٦٨]

وعن سليمان ابن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسألُ عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر -رَضَوَليَّكُ عَنهُ- وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعى به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فقتلني قتلاً جميلا، فأذِن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن: لا يُجالسه أحد من المسلمين.

رواه الدارمي.

وقيل كان متهماً برأي الخوارج.

والنووي رَحْمُهُ ٱللَّهُ تَعَالَى قال في كتاب الأذكار: باب التبري من أهل البدع والمعاصي.

وذكر حديث أبي موسى رَخِوَاللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله عَلَيْكَةً برئ من الصالقة والحالقة والشاقة» متفق عليه.

وعن ابن عمر براءته من القدرية. رواه مسلم).

ذكر رَحَمُهُ الله في عقيدة السنة في عقيدة السنة وأصحاب الحديث، وكلامه في هذا واضح، أن أهل السنة يبغضون أهل البدع ولا يجالسونهم ولا يأخذون عنهم ولا يسمعون كلامهم بل ولا يناظرونهم، إذا جاءك المبتدع قال: تعال نتناقش، أعطيك الذي عندي وتعطيني الذي عندك وننظر، ربما يكون الحق معي أو الحق معك.. فأنت لا تناقشه ولا تناظره في هذا أبداً، خاصة مع كون الطالب مبتدئاً في العلم، لا يناقش أهل البدع ولا يجادلهم ولا يناظرهم، لماذا؟ لأنه ربما ألقى عليك شبهة فوقرت هذه الشبهة في قلبك ثم لم تخرج أبداً، وهذا أمر معروف عند أهل البدع، يلقون الشبهة وهي ليست بحُجة، أهل العلم الراسخون في العلم يجيبون عنها بجواب واضح، لكن كون الشخص عاميا أو كونه مبتدئا في يجيبون عنها بجواب عن هذه الشبك، فلهذا نهى السلف عن مجالستهم وعن سماع كلامهم.

ثم ذكر أثر عمر رَضِّ لِللَّهُ عَنْهُ مع صبيغ.

صبيغ كان يسأل عمر عن بعض الآيات، ففهم عمر - رَضِّ اللَّهُ عَنْهُ- من سؤاله تعنتا وعنادا، فأمر به فضُرب، كما جاء في هذا الأثر، ثم عاد فضربه، ثم عاد فضربه، ثم جلَّه إلى أبي موسى -رضي الله تعالى عنه- وأمر الناس ألا يجالسوه.

وقصة صبيغ هذه ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ أللَهُ في الإصابة وقال إنها بإسناد صحيح، فهي ثابتة عن عمر، وفيه موقف السلف -رحمهم الله تعالى ورضي عنهم- الحازم من أهل البدع.

فانظر إلى موقف عمر الشديد مع صبيغ، وقد قيل إنه كان يرى القدر كما في كلام الشيخ هنا.

فالواجب على السلطان والعلماء قمع المبتدعة، ولا تجوز مجالستهم، ويجب التدين ببغضهم؛ لأنهم ليسوا على الطريق الصحيح.

الطالب:

(والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها، كما حرّره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحمَهُ ٱللَّهُ في مواضع).

يريد أن يُنبه أن هذا ليس على إطلاقه، قد تقتضي المصلحة أحيانا مجالسة المبتدع لتحقيق مصلحة للمسلمين أو دفع مفسدة عن المسلمين، وهذا من باب الاستثناء والموازنة بين المصالح والمفاسد، لكن الأصل مجانبتهم، فقد ترى أحيانا من أهل العلم من يجالس المبتدع، فلا تُسئ الظن به؛ لأنه قد يكون قد جالسه لتحقيق مصلحة أو لدفع مفسدة عن المسلمين، فهذا وارد، لكن الأصل العام هو مجانبة مجالستهم والحذر منهم والتحذير منهم وبغضهم، هذا هو الأصل العام.

الطالب:

(والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون إذا قل العلم وفشى الجهل، وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحَمُهُ أللهُ: فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون

إذا كثرت الجاهلية وأهلها ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال.

فإذا اشتد ساعدك في العلم فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحُجة والبيان، والسلام).

أهل البدع يكثرون إذا قلَّ العلم، ولهذا فالأمصار التي فيها السنة ظاهرة وعلماء السنة فيها كُثر ما تظهر فيها البدعة، كلما أظهر مبتدع بدعته قمعه أهل السنة، خاصةً إذا كان السلطان مع أهل السنة، وأما في البلدان التي يقلُّ فيها أهل السنة، أو السلطان ليس على السنة ،أو في قرى نائية بعيدة يقل فيها العلم فإن البدع تظهر؛ لأنهم يُلبسون على الناس ويخدعون الناس ويُظهرون الشُّبه، وتجد مثلا الشيعة يشبّهون على الناس بأنهم يوالون آل البيت، وهذه الشبهة تروج على كثير من العامة ، لا شك أننا كلنا نوالي أهل البيت، أهل بيت النبي عَلَيها المَّكَةُ وَالسَّلامُ من أهل الإيمان منهم ونحبهم ونجلهم، لكن لا نرفعهم عن منزلتهم التي أنزلهم الله عَرَقِبَلَ، فهذا مدخل يدخل منه الشيعة على عموم منزلتهم التي أنزلهم الله عَرَقِبَلَ، فهذا مدخل يدخل منه الشيعة على عموم من ولكن يشوب هذا الباطل بشيء من الحق حتى يَروج.

لو جاء شخص إلى الناس بباطل محض لا حق معه ما قبلوه منه، لكن حتى يروج الباطل يُدخل معه شيئا من الحق، كما ذكرت قبل قليل عن الشيعة، فالشيعة لو قالوا: ندعو غير الله. ما قبل الناس منهم، لكن يقولون نحن نعظم آل البيت ونوقر آل البيت، فدخلوا على الناس من هذا الباب، هو في ذاته حق، توقير أهل البيت حق، وأهل السنة يوقرون أهل البيت لكن لا يرفعونهم إلى منزلة أن يكونوا آلهة ويُدعون من دون الله عَنَهَ عَلَ.

إذن ننتبه لهذا.

ولهذا فالذي ينتبه لكلام أهل البدع ويرد على أهل البدع هم أهل العلم الندين نور الله عَنَّهَ عَلَ بصائرهم بالعلم، ولهذا قال الشيخ في آخر كلامه: فإذا اشتد ساعدك. يشتد الساعد بالعلم بالسنة، قال: فاقمع المبتدع. أي تقمعه بالحجة والرد عليهم وكشف الشُّبه التي يثيرها.

وإذا نظرت في أئمة الإسلام كالإمام أحمد ومن بعده وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب إلى علمائنا الآن كالشيخ صالح الفوزان وأمثالهم، قمعوا أهل البدع بالحجة وقمعوهم بالردود العلمية المؤصلة، ولكن ما يتأهل لهذا إلا مَن بلغ في العلم منزلة تُناسب أن يكون رادا على أهل البدع.

الطالب:

(الفصل الرابع: أدب الزمالة.

احذر قرين السوء، كما أن العرق دسّاس فإن أدب السوء دسّاس، إذ الطبيعة نقالة، والطباع سرّاقة، والناس كأسراب القطا مَجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك فإنه العطب، والدفع أسهل من الرفع، وعليه فتخير للزمالة والصداقة من يعينك على مطلبك ويقربك إلى ربك ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك.

وخُذ تقسيم الصديق في أدق المعايير:

صديق منفعة، وصديق لذّة، وصديق فضيلة.

فالأولان منقطعان بانقطاع موجبهما، المنفعة في الأول واللذة في الثاني، وأما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما.

وصديق الفضيلة هذا عملة صعبة يعزّ الحصول عليها، ومن نفيس كلامه هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥هـ قال: ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ أرفع مئونة التحفظ بيني وبينه.

ومن لطيف ما يقيد قول بعضهم:

العزلة من غير عين العلم زَلَّة، ومن غير زاي الزُّهد علَّة).

هـذا الفصل عقده الشيخ رَحْمَهُ اللَّهُ في أدب الزمالة، يعني زملاءك في طلب العلم ينبغي أن تتأدَّب معهم.

قال: احذر قرين السوء.

هذه من الآداب في الزملاء، أنك لا تُزامِل من كان سيئًا؛ لأن هذا يُثبِّطك عن طلب العلم، يعني لا تزامل البطال، الذي إذا قلت له تعال نراجع العلم أو نحفظ متنا قال لك: لا، تعال نتمشى، نذهب ونسمر، هذا تبتعد عنه، هذا لا يفيدك، هذا يضيع عليك وقتك وأشد من ذلك من يثبطك عما أمر الله عَرَّقِجَلً به، ويزين لك ما نهى الله عنه، فهذا قرين سوء فاحذر منه غاية الحذر.

قال: كما أن العِرق دسّاس فإن أدب السوء دسّاس، يعني بذلك أن العِرق مُتّصل بك اتصالا وثيقا فكذلك الزميل فهو مصاحب لك مصاحبة وثيقة، فأثره عليك كبير.

وذكر الشيخ رَحَمَهُ الله أن الصديق له معايير، وقال: خذ تقسيم الصديق في أدق المعايير، صديق منفعة، يصاحبك لأجل المنفعة والمصلحة، فإن ذهبت المصلحة أو رأى أنه لا يمكن أن ينتفع بك تركك.

وصديق لذة، يريد باللذة هنا أي أنه يحصل له منك الاستئناس، كأن تسافر

معه تؤانسه أو تطلع معه إلى استراحة أو نحو ذلك، لأن الناس لا يمكن أن يذهبوا لوحدهم، لا بد معه من أشخاص، فهذا أيضا له مصلحة خاصة.

الثالث: صديق فضيلة، وهو الذي يصاحبك لِذاتك ولِما أنت عليه من طاعة لله عَرَّفَكَلَ، والمحبة بينك وبينه لله -جل وعلا- لا لمصالح دنيوية، هذه المحبة وهذه المُزاملة والمُصادقة هي في حقيقتها قُربة إلى الله -جل وعلا- يتقرب العبد بها إلى ربه، وأنت تنتفع بهذا الصاحب نفعاً عظيماً وهو ينتفع بك نفعاً عظيماً في الدنيا وفي الآخرة، وكل ذلك فيما يُرضي الله -جل وعلا-.

ذكر بعد ذلك أن هذا القسم الثالث من الأصحاب أنه نادر جداً، لأن غالب مصاحبة الناس على الدنيا.

أين تجد الأخ المحب لك في الله عَرَّهَ عَلَّا الناصح لك الذي يريد الخير لك ولا يريد منك دنيا؟ هذا قليل في الناس.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن لطيف ما يقيَّد قول بعضهم: -وهذه تحتاج إلى تأمل، - العزلة من غير عين العلم زَلة ،ومن غير زاي الزهد علّة.

هـذه من اللطائف، العُزلة من غير عين العلم، لو حذفنا العين من العُزلة ماذا تصير؟ الزلّة.

لعلكم تذكرون ما مر معنا من الكلام على العزلة، هل العزلة محمودة أو غير محمودة؟ هناك تفصيل، إن كان الشخص اعتزل الناس لأنه لا يمكنه أن يصلح أحوالهم ويخشى على نفسه من أن يتأثر بما هم عليه من الباطل: هذه العزلة محمودة.

وإن كان يمكنه أن يصلح ولو شيئا من أحوالهم بدعوتهم إلى الخير والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الخير ولو بالقدر الذي يستطيع وهو آمنٌ على نفسه من أن يتأثر بما هم عليه من مخالفة أمر الله فهذا نقول: العزلة في حقه ليست محمودة، بل ينبغي له أن يخالط الناس، «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» كما ورد في الحديث.

إذن عرفنا هذا فالعزلة إن كانت عن علم فإنها محمودة، وإذا كانت عن غير علم فهي زلّة وخطأ.

قال: ومن غير زاي الزهد علّة. لو حذفنا الزاي من كلمة العزلة صارت: العلّة.

كيف تكون علّة؟ يمكن أن يقال: إن الذي يعتزل الناس سوف تفوته كثير من ملاذ الدنيا، فإن كانت هذه العزلة زهدا فهي محمودة، وإن لم تكن زهدا فهو مصاب بعلة، إما مرض أو غيره اعتزل بسببه عن الناس.

أقول: هذا تفسير اجتهادي، لعله يكون مراد مَن قال هذه العبارة، وإلا فالله أعلم بالمراد بها.

الطالب:

(الفصل الخامس: آداب الطالب في حياته العلمية:

كِبَرُ الهمة في العلم.

من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة.

مركز السالب والموجب في شخصك الرقيب على جوارحك: كِبَرُ الهمة، يجلب لك بإذن الله خيرا غير مجذوذ لترقى إلى درجات الكمال، فيجرى في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطا يديك إلا لمهمات الأمور، والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان والتملق والمداهنة، فكبير الهمّة ثابت الجَأش لا تُرهِبُه المواقف، وفاقِدُها جبانٌ رعديد تُغرقُ فمهُ الفهاهة.

ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكِبْر، فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

كِبَرُ الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكِبْر داءُ المرضى بعلَّة الجبابرة والبؤساء، فيا طالب العلم، ارسم لنفسك كبر الهمة ولا تنفلت منه، وقد أوما الشرع إليها في فقهياتٍ تُلابِس حياتك لتكون دائما على يقظةٍ من اغتنامها، ومنها إباحة التيمم للمُكلَّف عند فقد الماء وعدم إلزامه بقبولِ هبة ثمن ماء الوضوء، لما في ذلك من المنَّة التي تنالُ من الهمة منالا، وعلى هذا فقِس، والله أعلم).

هذا كلام عظيم يتعلق بالهمة العالية في طلب العلم، فينبغي لطالب العلم أن يكون ذا همة عالية.

والهمة العالية بأن يجتهد في طلب العلم ويؤمل أن يحصِّل أعلى درجات العلم في الحفظ وفي الفهم، وهذا مقصده كما تقدم: الإخلاص لله عَرَّجَلَّ وأن يريد ببلوغه هذه المرتبة العالية في العلم نصرة دين الله -جل وعلا- ورفع الجهل عن نفسه وعن الناس، وتعليم الناس دين الله -جل وعلا- ونشر الخير بينهم، وهذا لا يتأتى إلى بعلم، وكلما كان الإنسان أكثر علما كان أكثر أثرا في الناس وفي مجتمعه.

فكبَر الهمة أمرٌ مهم لطالب العلم لكن لا يختلط عليك كبر الهمة بما ذكر

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من الكبر، أنت تريد أن تكون مكانتك عالية في العلم الأجل أن تنفع الناس ولأجل أن تبلغ دين الله -جل وعلا-، لا لأجل أن تتكبر عليهم، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «الكبْر بطر الحق وغمط الناس» بطر الحق يعني رد الحق ، وغمط الناس يعني احتقارهم، فطالب العلم يتواضع، كلما ازداد في العلم زاده العلم تواضعا لله -جل وعلا- لأنه يستحضر نعمة الله عَرَّفَجَلَّ عليه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي اختصك بهذا العلم ويسر لك أسبابه وحجب عنك الصوارف التي تحجبك عن العلم، فالفضل لله أو لا وآخرا ليس منك، أنت بذلت سببا وجاءك التوفيق من الله -جل وعلا-، وأنت إذا نظرت في أقرانك، يعني إذا تقدم بالإنسان العمر والتفت إلى الخلف ونظر في أقرانه الذين درسوا معه في الابتدائي أو درسوا معه في المتوسط أو في الثانوي، ما حالهم؟ تجد كثيرا منهم لم يطلبوا العلم ولم يصبحوا علماء، بينما هذا الشخص منَّ الله عَنَّوَجَلَّ عليه ويسر له أسباب العلم ورزقه العلم حتى أصبح عالمًا ينفع الله به أمة الإسلام، هذا الفضل لله -جل وعلا- أولًا وأخرًا، هذا يدعوك إلى التواضع وإلى أن تعرف فضل الله عَزَّوَجَلَّ عليك.

ثم إن الشيخ رَحمَهُ اللهُ ذكر أمرًا يتعلق بعزة النفس في بعض الفقهيات التي يذكرها الفقهاء، وذكر منها ما لو أن الإنسان احتاج إلى التيمم، كما لو لم يجد الماء، فجاءه شخص فقال: أعطيك هذا الماء هبة لأجل أن تتوضأ به، ما الحكم؟ هل يجب عليه أن يقبل الهبة؟ أو قال: خذ هذا المال لتشتري به ماء تتوضأ به، هل يجب عليه أن يقبل هذا الماء هبة ؟ قالوا: لا يجب عليه، مع أن الوضوء شرط، فالطهارة شرط من شروط صحة الصلاة، فهذا يمكنه قبول الهبة والإتيان بشرط الصلاة وهو الطهارة بالماء، ومع ذلك قال الفقهاء: لا يلزمه ذلك ويعدل إلى التيمم، خشية المنّة عليه، فإذا كنت تخشى من هذا يلزمه ذلك ويعدل إلى التيمم، خشية المنّة عليه، فإذا كنت تخشى من هذا

الشخص أن يمن عليك في المستقبل لم يكزمك أن تأخذ منه هذا الماء، يقول في المستقبل: أنا أعطيتك، أنا أهديتك، يتكلم بهذا ويمن عليك، وهذا لا شك أن فيه كسرا للنفوس الأبيَّة، فهي لا ترضى بهذا، فالشريعة تراعي هذا الأمر، فهذا الشيخ يضرب لك مثالا، وله نظائر في كتب الفقه، حتى إنهم ذكروا في الحج: لو جاءه شخص وقال: خذ هذا المال حُج به، هل يجب عليه أن يقبل الهبة؟ قالوا: لا يجب عليه، لكن يستثنى من ذلك من يبعد أن يمن عليك أو له منة عليك عظيمة مثل الأب، لو جاءك أبوك فقال: خذيا ولدي هذا المال لتحج به. هنا تأخذ المال وتحج، لأن منة الأب على ولده عظيمة، أعطاه أو لا، أو شخص مثل أخيك أو قريب منك يبعد أن يمن عليك حين تأخذ، لا إشكال، لكن من هو غير هؤلاء، فإنك إذا كنت تخشى المنة لا يجب عليك أن تأخذ منه المال.

الطالب:

(النَّهمة في الطلب:

إذا علمت الكلمة المنسوبة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رَضَيَّلِيَّهُ عَنَهُ- (قيمة كل امرئ ما يحسنه) وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها. فاحذر غلط القائل: (ما ترك الأول للآخر) وصوابُه: (كم ترك الأول للآخر).

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي عَلَيْهُ، وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فتذكر (كم ترك الأول للآخر).

في ترجمة أحمد بن عبد الجليل من تاريخ بغداد للخطيب، ذكر مِن قصيدة له:

لا يكون السريُّ مثل الدنيِّ لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيِّ قيمة المرء كلما أحسن المَر عُليِّ قضاءً من الإمام عليِّ)

قال: النهمة في الطلب.

وهـذا أمر لا بد منه، أن يكون طالب العلم منهوما في الطلب حريصًا على القراءة وعلى حضور مجالس العلم وحريصًا على اقتناء الكتب وحريصًا على الفوائد العلمية، يكون عنده نهم، كما أن طالب الدنيا عنده نهم في دنياه فكذلك طالب العلم يكون عنده نهم وحرص شديد على العلم حتى يحصّل.

ثم ذكر الشيخ الكلمة المشهورة (قيمة كل امرئ ما يحسنه)

إذا نظرت إلى علماء الشريعة ما الذي يحسنون؟

يحسنون علم الكتاب والسنة والأثر ويحسنون الأحكام الشرعية، هذا الذي يحسنونه، إذن فقيمتهم وقدرهم عال جدا.

وإذا نظرت إلى الطبيب ما الذي يحسن؟ علم الطب ولا شك أنه علم شريف من علوم الدنيا، المهندس كذلك يحسن علم الهندسة وهو علم شريف من علوم الدنيا، وقس على هذا، تجد بعض الناس عنده علم لكن بأمور غير نافعة إما أن تكون مباحات أو تكون والعياذ بالله علوما محرمة كعلم السحر أو علم التنجيم الذي فيه مخالفة شرعية.

ثم ذكر أيضا كلمة أخرى: (ما ترك الأول للآخر) صوابه (كم ترك الأول للآخر) للآخر)

بعضهم يقول: ما ترك الأول للآخر، يعني أنك أنت أيها المتأخر إنما أنت عالـة على كلام من تقدم فلا يمكن أن تأتي بشيء جديد، وهذا غير صحيح؛ لأنك إذا نظرت في كل قرن من القرون الماضية لو طبقنا عليه هذه القاعدة ما ترك الأول للآخر لما صنعوا شيئا، أليس كذلك؟ فقط يستفيدون من علم من قبلهم..

أعطيك مثالا، كتاب المغني للموفق ابن قدامة، كتاب لا يستغني عنه طالب علم.

فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، كذلك لا يستغنى عنه طالب علم.

فلو أخذنا بهذه القاعدة في زمان الموفق، وهو متوفى سنة ٢٢٠ هـ، في أول القرن السابع، وقلنا: ما ترك الأول للآخر. فإن الموفق لن يؤلف كتابه المغني.

وكذا في القرن التاسع الذي توفي فيه الحافظ ابن حجر، نقول: ما ترك الأول للآخر. لو الأمر كذلك لما ألف فتح الباري. فدل على أن هذه العبارة غير مسلَّمة.

ولهذا نرى في هذا العصر المؤلفات الكثيرة النافعة التي لا يغني عنها ما تقدم، ولولم يكن إلا جمع المتفرق المبشوث في كتب أهل العلم وتيسيره لطالب العلم هذا أقل شيء، فضلا عن النوازل الكثيرة في هذا العصر، ففي الدراسات العليا في العقيدة أو في الحديث أو في الفقه أو غيرها من علوم الشريعة تجد رسائل و تجد في المكتبات كل يوم العشرات، هذه المؤلفات النافعة وبعضها قيم ولا يغني عنها ما تقدم من كلام أهل العلم.

فالمقصود من هذا أن قوله: وصوابه (كم ترك الأول للآخر) لا شك أن هذا يفتح لطالب العلم أبوابا في العلم.

قوله رَحْمَهُ ٱللَّهُ: وقد قيل: ليس كلمة أحضّ على طلب العلم منها.

يعني قوله: قيمة كل امرئ ما يحسنه، هذا استدركه الشيخ ابن عثيمين رَحْمَهُ ٱللّهُ في شرحه لهذه الرسالة، قال: بل أحض كلمة قول الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوى ٱلّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]

وقول الله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] وأيضا بقية الآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم.

الطالب:

(الرحلة للطلب:

من لم يكن رُحْلةً لن يكون رُحَلةً، فمن لم يرحل في طلب العلم للبحث عن الشيوخ والسياحة في الأخذ عنهم فيبعد تأهله ليُرحل إليه؛ لأن هؤ لاء العلماء الذين مضى وقتٌ في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعزُّ الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار، واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين الذين يُفضِّلون علم الخِرَق على علم الوَرق، وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟!

وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق برزتُ عليهم بعلم الخرق فاحذر هؤلاء فإنهم لا للإسلام نصروا ولا للكفر كسروا، بل فيهم من كان بأسا وبلاء على الإسلام).

قوله رَحْمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: من لم يكن رُحْلةً لن يكون رُحَلةً.

مراد الشيخ رَحمَهُ الله يعني أن من لم يرحل في طلب العلم فإنه لن يُرحل إليه، وهذا فيه الترغيب في الرحلة لأخذ العلم، وقد عرفنا أنه إذا رحل لا يأخذ إلا عن أهل السنة، ولكن جرت عادة العلماء أن طالب العلم لا يرحل لأخذ

العلم حتى يأخذ عن علماء بلده، فإذا أخذ عن علماء بلده رحل للتزوّد من العلم عن العلماء الآخرين، وربما كان البلد عامرًا بالعلماء فيغني الطالب عن الرحلة، كالأمصار المشهورة بكثرة العلماء في فنون العلم، فقد لا يحتاج الطالب إلى أن يرحل.

لكن في أزمنة مضت وإلى زماننا فإن الرحلة فيها نفع وفيها فائدة، ليتنوّع عنده الشيوخ فيستفيد من هذا.

وذكر الشيخ رَحْمَهُ اللَّهُ طريقة أهل البدع وأنهم إذا قيل لهم ألا ترحل لتسمع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق.

لأنهم يزعمون أنهم يأخذون عن الله -جل وعلا- مباشرة وأنهم يخاطبون الله ويخاطبهم، وهذا من خرافاتهم وضلالاتهم.

الطالب:

(حفظ العلم كتابةً

ابذل الجهد في حفظ العلم حفظ كتاب؛ لأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها.

ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديك مادة تتّجِرُ منها مادة تكتب بها بلا عناء في البحث والتقصّي، ولذا فاجعل لك كُنّاشا أو مذكرة لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك فحسن، ثم تنقل ما يجتمع لك بعد في مذكرة مرتبا له على الموضوعات مقيدًا رأس المسألة واسم الكتاب ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قيدته: (نقل) حتى لا يختلط بما لم

يُنقل، كما تكتب: (بلغ صفحة كذا) فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة.

وللعلماء مؤلفات عدّة في هذا، منها بدائع الفوائد لابن القيم، وخبايا الزوايا للزركشي، ومنها كتاب الإغفال وبقايا الخبايا وغيرها.

وعليه، فقيد العلم بالكتاب، لا سيما بدائع الفوائد في غير مظانها، وخبايا الزوايا في غير مساقها، ودررا منثورة تراها وتسمعها تخشى فواتها، وهكذا، فإن الحفظ يَضعف والنسيان يَعرض، قال الشعبي: (إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في الحائط) رواه خيثمة.

وإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع فرتبه في مذكرة أو كُنّاش على الموضوعات، فإنه يسعفك في أضيق الأوقات التي قد يعجز عن الإدراك فيها كبار الأثبات.)

هـذا تقدمت الإشـارة إليـه في الدرس الماضـي وكيف يقيـد طالب العلم الفوائـد، وأن أهـل العلم لهم أكثر من طريقة في هذا، إما أن يجعل له دفتراً يقيد فيـه الفوائد ولكل فن دفتر مثلا، وأيضًا إذا قـراً كتابًا يعلق على غلاف الكتاب من الداخل في الصفحة الأولى يُقيد الفوائد.

الشيخ هنا يقول أيضًا: إذا انتهيت من الكتاب وقيدت الفوائد على الغلاف ترجع إلى هذه الفوائد شم تنقلها في الدفتر الخاص بكل فن، كأن توزعها على الفنون، ثم الفن توزعه على الموضوعات، ففي دفتر الفقه مشلا تبدأ بفوائد الطهارة ثم فوائد الصلاة ثم فوائد الزكاة وهكذا تجمع متفرقات المسائل التي هي في غير مظانها.

فإن كانت الفائدة في مظنتها فلا تحتاج إلى تقييد، فمثلا إذا مرت بك فائدة

عن التيمم في باب التيمم من أحد كتب الفقه فلا تحتاج أن تقيدها في دفتر الفوائد؛ لأنه إذا أشكلت عليك مسألة في التيمم سترجع إلى مظنتها في باب التيمم من كتب الفقه أو في شروح أحاديث الأحكام

وإنما الكلام على مسألة تأتيك في غير مظنتها، كما لو كنت مثلا تقرأ في التراجم في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ثم تمر بك فائدة عقدية كنقل عن الإمام أحمد، لأنه أكثر من كلام الإمام أحمد في هذا الكتاب، وأنا أوصي به، كتاب قيم، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، وأيضا الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، يأتيك بفوائد عقدية، أو نقول نفيسة، فهذه تأخذها وتضعها في مظنتها من كتب الاعتقاد، وقس على هذا.

تقرأ في سير أعلام النبلاء للذهبي ثم تمر بك فائدة في نقل ضابط فقهي مثلاً ينقل ه عن عالم، تأخذ هذا الضابط وتضعه في مظنته، أو قاعدة معينة أو أحيانا حكايات أو أخبار فيها عظة أو مفيدة في آداب طلب العلم لكنها في غير مظنتها، تأخذها وتضعها في موضعها في كتب أهل العلم أو في الدفتر الذي عندك.

أيضا مما يُهم هنا أن تجعل لك كتابا في كل فن تُقيد فيه الفوائد، مثال ذلك حاشية الروض المُرْبع شرح زاد المُستقنع، الروض شرح للزاد، والحاشية على الروض، في سبعة مجلّدات، لماذا نختار حاشية ابن قاسم رَحمَدُاللَّهُ؟ لأنها فيها مجالا للتعليق، فهي سبعة مجلّدات، تمر بك فائدة في غير مظنّتها تتعلق مثلاً بالكفالة، تأخذها وتفتح باب الكفالة، أو في الضمان، باب الضمان، أو في الحوالة أو في الصلاة، وقيّد هذه الفائدة في مكانها في هذا الباب، سواء ذكرها صاحب الروض أو صاحب الحاشية أو لم يذكرها لكنها تتعلق بالباب، قيد هذه الفائدة.

قد تكون الفائدة ليست فقهية، قد تكون أثرا يتعلق بهذا الباب الفقهي، فتُقيد الأثر وتذكر مرجعه، وانتبه في تقييد الفوائد، لا بد من ذكر المصدر والجزء والصفحة، لماذا؟ لأنه قد تحتاجه في بحث، فتجد الوصول إليه سهلا، قد يشكل عليك النقل أو قد تُخطئ في النقل فتلتبس عليك العبارة؛ لأنك قد تقرأها بعد عشر سنوات أو خمس عشرة سنة إذا أمد الله في العمر تستغرب هذه الفائدة فيها إشكال، ارجع إلى مصدرها، فلا بد من تقييده، ولهذا العلم يُعزى إلى مصدره، احرص دائماً إذا ذكرت الفائدة أن تعزوها إلى من قالها، هذا أثبت للعلم وفيه أيضاً نسبة العلم إلى أهله وبيان فضل أهل العلم علينا، لا نقول: هذه الفائدة من عندنا ابتداءً، لا، هذه أفدناها من الكتاب الفلاني.

في التفسير يُقترح أن يكون تفسير ابن كثير رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هو الأصل عندك، كلما مررت بفائدة تتعلق بآية فتعلقها في تفسير ابن كثير عند الآية التي فسرها ابن كثير، هذا مع الوقت سيجتمع عندك فوائد عظيمة جدا جدا، وقس على هذا في بقية الفنون.

الطالب:

(حِفظ الرعاية.

ابذل الوسع في حفظ العلم حفظ رعاية، بالعمل والاتباع، قال خطيب البغدادي رَحَمَدُ اللهُ تَعَالَى: يجب على طالب الحديث أن يُخلص نيته في طلبه ويكون قصده وجه الله سبحانه، وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض وطريقاً إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه، وليتق المفاخرة والمباهاة به وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه،

وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير ورُعاتها قليل، ورُب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء، إذ كان في اطراحه لحُكمه بمنزلة الذاهل عن معرفته وعلمه.

وينبغي لطالب الحديث أن يتميَّز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله عَلَيِّ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].)

حفظ العلم كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ الله حفظ رواية وحفظ رعاية، حفظ رواية: الذي يحفظ العلم ويرويه لكنه لا يرعى العلم بمعنى أنه لا يعمل بمقتضى هذا العلم الذي تعلمه ولا يظهر للعلم أثر عليه، طالب العلم ينبغي أن يُعرف بسمته وبهديه واتباعه لسنة النبي عليه ولزومه الآثار، وإلا فما فائدة العلم؟ بل قد يكون وبالا عليه، والذين يتعلمون كثر، خاصة اليوم مع وجود الجامعات والمعاهد ونحوها، الذي يتعلم كثير لكن الذي يرعى العلم كما قال الشيخ قليل.

فينبغي أن يُتنبه لهذا، فهناك من يطلب العلم لأجل الرئاسة ومن يطلب العلم لأجل الرئاسة ومن يطلب العلم لأجل الدنيا، وهذا فيه وعيد شديد، فقد قال النبي على «من تعلم علما مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة» يعني لم يجد ريحها، وهذا وعيد شديد.

العلوم الدنيوية كعلم الطب والهندسة والحاسب وغيرها هذه لو أراد بها الدنيا فلا حرج عليه لأنه علم مباح أراد به شيئا مباحا من الدنيا، لكن طالب العلم كما أن طلبه للعلم عبادة وقربة إلى الله وطريقا يوصله إلى الجنة، إلا أنه إن أراد به الرياء فهو شرك أصغر، أو أراد به أن يحصل شيئاً من الأعراض الدنيوية كالمال أو الوجاهة أو نحوها فهو أيضاً واقع في الشرك الأصغر، إذن

الأمر عظيم، فأنت في طريقك للعلم لا بد أن تجاهد نفسك في إصلاح النية، وقد عرَفنا كيف تصلح نيتك في طلب العلم في أول هذه الرسالة.

الطالب:

(تعاهُد المحفوظات:

تعاهَـد علمك من وقت إلى آخر، فإن عـدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

عن ابن عمر رَضَالِتُهُ عَنْهُا أَن رسول الله ﷺ قال «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» رواه الشيخان ومالك في الموطأ.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحَمَ وُاللَّهُ: (وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يعاهد علمه ذهب عنه أيا مَن كان، لأن علمهم كان في ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن المُيسَّر للذكر يذهب إن لم يُتعاهد فما ظنّك بغيره من العلوم المعهودة!

وخير العلوم ما ضُبط أصله واستُذكِر فرعه وقاد إلى الله تعالى ودلَّ على ما يرضاه)

وقال بعضهم: كلُّ عزِّ لم يُؤكَّد بعلمٍ فإلى ذُلٍ مصيرُهْ. (

من المهم، أن يتعاهد طالب العلم ما حفظ، وأعظم ما يحفظه هو القرآن الكريم، والقرآن مع أن الله عَزَّقِجَلَّ يسّره كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرُنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلدِّكْرِ فَهَلُ مِن مُّدَّكِر ﴾ [القمر: ١٧] فإنه مع ذلك يتفلّت إن لم يتعاهده صاحبه، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ﴿إنما مثلُ صاحب القرآن كمثلِ الإبلِ المُعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت».

وإذا كان هذا في القرآن فغيره من باب أولى، فأنا أُوصيكم وأُوصي نفسي بأنَّ أيَّ متنٍ نحفظ ثلاثة متون في بأنَّ أيَّ متنٍ نحفظ ثلاثة متون في الفصل الأول من هذا البرنامج، فينبغي لكم أن تتعاهدوها.

فلا بد من تعاهد الحفظ بين وقت وآخر، لأنه ستزيد معك المتون، إن لم تكن المتون الأولى مضبوطة وإلا سوف تتعب، فتعاهدها ما دمت في أول الطريق حتى تكون حاضرة في قلبك.

وأذكر أن الشيخ الذي حفظت عليه القرآن قبل سنين حدثني عن أبيه اوهو من الباكستان وهو من كبار القراء ووالده أيضا من كبار القراء فقال لي: إن والدي لمّا حفظ القرآن قال له شيخه تراجع القرآن كل يوم كاملا، مدة ثلاثة أشهر، فكل يوم يقرأ ختمة من القرآن حفظا عن ظهر قلب، لمدة ثلاثة أشهر، يعني كم ختمة؟ تسعون ختمة!

فصادف في هذه الثلاثة أشهر يوم عيد فجاء إلى شيخه يستأذنه ليكون مع أهله في يوم العيد، فلم يأذن له. حتى يقرأ ختمة كاملة من حفظه، فلما فرغ من تسعين ختمة جاءه شخص فقال له: يا عبد الماجد كيف حفظك للقرآن قال: كحفظك للفاتحة.

هـذا كيف أتى؟ أتى بصبر ومجاهدة ومراجعة وتكرار، لا يقول الإنسان أنا حفظي ضعيف، مع التكرار بإذن الله وتوفيقه سوف تحصّل ما تصبو إليه.

الطالب:

(التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

ومن وراء الفقه التفقّه، ومعتمده هو الذي يُعلق الأحكام بمداركها الشرعية، وفي حديث ابن مسعود - رَضَوَاللَّهُ عَنهُ - أن رسول الله عَلَيْكَةٍ قال: «نضّر الله

امرءًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها، فرُبِّ حامل فقه ليس بفقيه، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»

قال ابن خير رَحْمَهُ أَللَّهُ تَعَالَى في فقه هذا الحديث: (وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التفهم، وفي ضمنه بيان وجوب التفقه والبحث على معاني الحديث واستخراج المكنون من سره).

وللشيخين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية -رحمهما الله تعالى - في ذلك القدح المعلّى، ومن نظر في كتب هذه الإمامين سلك به النظر فيها إلى التفقه طريقة مستقيمة.

ومن مليح كلام ابن تيمية رَحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى قوله في مجلس للتفقه: (أما بعد، فقد كنا في مجلس التفقه في الدين والنظر في مدارك الأحكام المشروعة تصويرا وتقريرا وتأصيلا وتفصيلا، فوقع الكلام في، فأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله هذا مبني على أصل وفصلين).

واعلم أرشدك الله أن بين يدي التفقه التفكر، فإن الله سُبَحَانهُ وَتَعَالَى دعا عباده في غير ما آية من كتابه إلى التحرك بإجالة النظر العميق في التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وإلى أن يُمعن المرء النظر في نفسه وما حوله فتحا للقوى العقلية على مصراعيها، وحتى يصل إلى تقوية الإيمان وتعميق الأحكام والانتصار العلمي.

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [البقرة: ٢٤٢] قُلُ هَلُ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ [الأنعام: ٥٠]

وعليه فإن التفقه أبعد مدى من التفكر، إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا فما لهؤ لاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا.

لكن هذا التفقه محجوز بالبرهان محجور عن التشهي والهوى، وَلَيِنِ التَّبَعُتَ أَهُوَآءَهُم بَعُدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ [البقرة: ١٢٠]

فأيها الطالب تحلّ بالنظر والتفكر والفقه والتفقه.

لعلك تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى فقيه النفس كما يقول الفقهاء، وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، أو فقيه البدن كما في اصطلاح المحدثين، فأجل النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول وتمام العناية بالقواعد والضوابط، وأجمِع للنظر في فرع ما بين تتبُّعه وإفراغه في قالب الشريعة العام، من قواعدها وأصولها المطّردة، كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة وجلب التيسير، وسد باب الحيل، وسد الذرائع، وهكذا هُديت لرشدك أبدا، فإن هذا يسعفك في مواطن المضايق، وعليك بالتفقه كما أسلفت في نصوص الشرع والتبصر فيما يحفُّ أحوال التشريع، والتأمل في مقاصد الشريعة، فإن خلا فهمك من هذا أو نبا سمعك فإن وقتك ضائع، وإن اسم الجهل عليك لواقع، وهذه الخُلَّة بالذات هي التي تعطيك التمييز الدقيق والمعيار الصحيح لمدى التحصيل والقدرة على التخريج، فالفقيه هو من تَعرض له النازلة لا نَص فيها فيقتبس لها حكما، والبلاغي ليس من يذكر لك أقسامها وتفريعاتها، لكنه من تسري بصيرته البلاغية في كتاب الله مثلا فيخرج من مكنون علومه وجوهها، وإن كتب أو خطب نظم لك عقدها، وهكذا في العلوم كافة).

تخريج الفروع على الأصول يتضح بالمثال، فالفرع الفقهي يُردُّ إلى أصله، مثالُ ذلك: المريض الذي يشُتُّ عليه أن يُصلي قائماً فيرخص له

أَن يُصلي قاعداً؛ لوجود المشقَّة، لحديث عمران بن حُصين رَضَالِيَهُ عَنْهُا أَن النبي عَلَيْهِ السَّالَةُ وَالسَّلَامُ قال له لما شكى إليه أن به بواسير، قال: «صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنب» أخرجه البخاري.

ويمكن أيضًا أن نرد هذه المسألة إلى أصل، يعني إلى قاعدة، المراد بالأصول يعني القواعد الشرعية المعتبرة، وهي قاعدة المشقة تجلب التيسير، فكلما جاءتنا مسألة وصار الإنسان يلحقه بها حرج ومشقة فإن الشريعة تُيسّر عليه الحكم، فإذا زالت المشقة رجع الحكم إلى ما كان عليه.

هنا الآن خرَّ جنا فرعا على أصل، قس عليه بقية الفروع، كثير من الفروع تُردّ إلى أصول.

الذي لم يجد طعاماً ولا شراباً وهو في الصحراء ويخشى الهلاك ما الحكم؟ يجوز له الأكل من الميتة والأكل من الحيوان المحرم، هذا الفرع يرد إلى أصل، هو أن الضرورات تبيح المحظورات، وقس على هذا.

ثم إن الشيخ رَحمَهُ الله حث على أن يكون طلاب العلم -وهذا يختص بالفقهاء - أن يكونوا فقهاء نفس وعندهم ملكة فقهية، فليس المقصود أن تحفظ الفروع الفقهية وإذا شئلت عنها أجبت، فإذا وردت عليك مسألة ليس عندك فيها حكم مما حفظته لم تعرف جوابها. ولهذا قال بعضهم: الفقيه ليس هو من يحفظ الفروع الفقهية، لأن هذا يسمى فروعيا أو ناقل فقه، يحفظ أقسام المياه ومسائل المياه، إذا شئل عن مسألة في المياه أجاب، إذا شئل عن مسألة في الصلاة أجاب مما حفظه. أما الفقيه فلا يُطلق إلا على من إذا شئل عن مسألة ليس عنده فيها علم سابق وليس فيها نص من كتاب ولا من سنة ولا من أثر ولا من كلام للفقهاء المتقدمين ومع ذلك يتمكن من ردها إلى أصول الشريعة

ويقول: الحكم فيها كذا وكذا، طبعا ليس بالتشهي، وإنما يقول: الحكم فيها كذا وكذا لأجل كذا وكذا، يردها إما إلى أصول شرعية كما مر بنا قبل قليل، يردها إلى قاعدة الضرورة أو قاعدة المشقة تجلب التيسير أو قاعدة الأمور بمقاصدها إلى آخره، أو يردها إلى فرع فقهي مذكور عند الفقهاء، يقيسها عليه، هو الذي يسمى بتخريج فرع على فرع آخر، يقول: هذه المسألة ما نصّ عليها الفقهاء لكن هناك مسألة فقهية نصّوا على حكمها تشبهها، والعلّة هنا عليها الفقهاء لكن هناك مسألة فقهية نصّوا على حكمها تشبهها، والعلّة هنا يحتاج إلى تقدم في العلم وإلى معرفة القواعد والضوابط، وأيضا إلى مراس في النوازل، ولهذا كثير من النوازل التي جدّت في هذا العصر لكمال شريعة في النوازل، وجد العلماء لها حكمًا، وهذا يدل على أن شريعة الإسلام وحكان.

وانظر إلى التقدم التقني العجيب والتسارع في النوازل، ومع ذلك تجد المؤلفات الكثيرة في النوازل والأقسام العلمية خاصة المتخصصة في الفقه فيها رسائل علمية وبحوث علمية كلها في النوازل، وهذه النوازل كما قلت لك: لا يوجد فيها نص لا من كتاب ولا سنة ولا آثار ولا كلام للفقهاء، وإنما جدّت في هذا العصر، ومع ذلك تجد أن أهل العلم في هذا العصر يجدون لها أحكاما، وهذا هو الفقه، نحن نريد أن نُؤهِّل فقهاء إلى هذه المرحلة، أن يكونوا نافعين لأمة الإسلام يستطيعون أن يصلوا إلى بيان الأحكام الشرعية التي تحتاجها الأمة.

أقف على هذا، وأسأل الله عَرَّهَ عَلَ لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

